دور القادة الدينيين الرواد
فى تحقيق السلام مع الآخر

الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح عبد الغنى العوارى

عميد كلية أصول الدين

جامعة الأزهر

وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مصر

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمدٍ بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، **وبعد** ،،،

فقد شاءت إرادة الله ربّ العالمين أن يخلق الناس مختلفين طباعًا، وألوانًا، وألسنة، وأفهامًا، وذلك كله آية من آياته الباهرة الدالة على عظيم صنعته، ومنتهى قدرته، ونفاذ إرادته، وسعة علمه، بما خلق وركب وأبدع وصور، تحقيق ذلك قوله علت قدرته : ﴿ **وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ** ﴾ (١).

فالله رب العالمين إذا أراد أمرًا أنفذه، يقول تعالى: ﴿ **إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ**

(١) الروم : ٢٢ .

لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [2]، ولو شاء سبحانه وتعالى أن يخلق الناس مجتمعين على هيئة واحدة شكلاً وطبعًا ولغة وفكرًا لفعل، وهو سبحانه وتعالى: ﴿ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [3]، ولكنه سبحانه وتعالى خلقهم مختلفين، قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ۝٣٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ ...﴾[4]، ففى هذه الآية الكريمة يخاطب ربنا رسوله الكريم: ولو شاء ربك ــ أيها الرسول الكريم الشديد الحرص على إيمان قومك، الحزين من أجل إعراض أكثرهم عن إجابة دعوتك واتباع هديك – لجعل الناس على دين واحد بمقتضى الغريزة والفطرة، لا اختيار لهم فيما يفعلون، فكانوا فى حياتهم الاجتماعية أشبه بالنمل والنحل، وفى حياتهم الروحية أشبه بالملائكة مفطورين على طاعة الله، واعتقاد الحق، وعدم الميل إلى الزيغ والجور، لكنه تعالى خلقهم كاسبين لا مُلْهَمِين، وعاملين بالاختيار لا مجبورين ولا مضطرين، وجعلهم متفاوتين فى الاستعداد وكسب العلم، وكانوا فى أطوارهم الأولى لا اختلاف بينهم، ثم لما كثرت وتنوعت حاجاتهم وكثرت مطالبهم ظهر فيهم الاستعداد للاختلاف، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ [5]، فهم لا يزالون مختلفين فى شئونهم الدنيوية والدينية بحسب استعدادهم الفطرى، إلا من رحم الله منهم فإنهم يتفقون على حكم كتابه فيهم، وهو الذى عليه مدار جمع كلمة الأمة ووحدتها .

ولمشيئته تعالى فيهم ــ من الاختلاف والتفرق فى علومهم، ومعارفهم، وآرائهم، وما يتبع ذلك من الإرادة والاختيار فى الأعمال ــ خلقهم، وبهذا كانوا خلفاء فى الأرض، ومن ذلك اختلافهم فى الدين، والإيمان، والطاعة، والعصيان، وبذا كانوا مظهرًا لأسرار خلقه الروحية والجسدية،

---

(١) يس : ٨١ .

(٢) القصص : ٦٨ .

(٣) البروج : ١٦ .

(٤) هود : ١١٨ – ١١٩ .

(٥) يونس : ١٩ .

أو المادية والمعنوية، قال ابن عباس ﷺ : خلقهم فريقين؛ فريقًا يرحم فلا يختلف، وفريقًا لا يرحم فيختلف، فذلك قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ (١) (٢).

فالاختلاف إذن سنة إلهية من سننه تعالى فى خلقه ، نعم أوجد بنى الإنسان من ذكر وأنثى ، ولكن بث منهما رجالاً كثيرين ونساءً كثيرات كذلك، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٣)، وجعلهم بطونًا، وقبائل وشعوبًا وأممًا، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٤)، فالله تعالى خلقهم من أجل ماذا ؟ هل من أجل التناحر والتخاصم ؟ أو التقاتل ؟ أو التنافر ؟ أم خلقهم وجعلهم كذلك من أجل التعارف، الذى يؤدى بدوره لنتيجة حتمية هى التآلف، والتعاون، والتعايش؛ كى يعمر الكون، وتستقيم حياة الأحياء، وتبنى بهم الحضارات، ويثيرون الأرض ويعمرونها تحقيقًا لمراد الله تعالى مِن جَعْلِهم خلفاء الأرض، قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (٥) أى جعلكم عمارًا لها، زراعًا وصناعًا وبنائين، وهكذا سائر ما تعمر به الأرض وتتطلبه مقتضيات الحياة للإنسان .

ولقد نهى الله تعالى بنى الإنسان – الذين أمرهم بعمارة الأرض وطلب ذلك منهم – عن الفساد والإفساد فيها بعد أن أصلحها لهم، وجعلها صالحة لحياتهم كى يعيشوها حياة طيبة، فقال عز اسمه : ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦)، وفى هذا القول الكريم نهى عن الإفساد فى الأرض، وهو نهى عام يشمل كل ما يعطل مصالح الدنيا ويعتدى على النفس، وما يغير أخلاقها وصفاتها، وما يضر بأمور الدين،

---

(١) هود: ١٠٥ .

(٢) يراجع : تفسير المراغى ١٢ / ٩٨ – ٩٩ .

(٣) النساء : ١ .

(٤) الحجرات : ١٣ .

(٥) هود : ٦١ .

(٦) الأعراف : ٥٦ .

وكل ما ينافى صلاح الناس فى أنفسهم، أو فى معايشهم ومرافقهم.

أقول: بهذا الذى أوقفناك عليه من هدْي القرآن، كما نطقت به نُصوصُه الشريفة التى هى تنزيل من حكيم حميد ، يتجلى لك مدى العناية الإلهية ببنى البشر .

وبهذه العناية المقررة شرعًا – والتى ما خلت رسالة سماوية أتى بها رسول من عند الله منها[1] – يعم السلام أرجاء المعمورة ، ويدب الوفاق بدل الخلاف ، والألفة بدل النفرة، والمحبة بدل العداوة .

والمستقرئ لآيات القرآن الكريم يرى السلام وتحقيقه بين بنى البشر يمثل القاعدة الكلية، التى تقتضى تحقيق السلام مع النفس، والسلام مع النبات، والسلام مع الطير، والسلام مع الحيوان، والسلام مع الجماد، والسلام مع البيئة، والسلام مع الإنسان الذى هو أخ للمسلم أيًّا كان معتقده، أو جنسه، أو لونه، وتمنع وقوع العداوة والبغضاء، والحقد والشحناء، والتى تؤدى بدورها إلى الحروب والدمار.

قطعًا فإن الأمر سيزداد تأكيدًا وإلزامًا فى حتمية تحقيق السلام إذا كان الحال مع الإنسان المكرم وإن كان مخالفًا لأخيه؛ " فالمسالمة فى الإسلام محال أن تقتصر على المسلمين وحدهم ، بل تشمل غيرهم من أهل الملل والنحل إن سالمونا ولم يقاتلونا " [2]، ولم يخرجونا من ديارنا، وهذا أمر قررته النصوص القرآنية قطعية الدلالة ، قطعية الثبوت، فإن ذهبت إلى القرآن الكريم تراه يقرر ذلك فى آياته الواضحات، يقول الله عز وجل:﴿ **لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ** ﴾ [3].

جاء فى تفسير القرطبى لقوله تعالى :﴿ **لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ**

---

(١) وإنما قلت بتعميم الحكم على سائر الرسالات السماوية؛ لأن رسل الله تعالى إنما جاءوا بالسلام كى تسعد البشرية بتحققه فتدبر !.

(٢) يراجع : عطاء الرحمن من شريعة القرآن ١٢١/١ .

(٣) الممتحنة : ٨ – ٩ .

﴿ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[1]، أن هذه الآية رخصة من الله تعالى فى صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم.

وقال أكثر أهل التأويل : هى محكمة، واحتجوا بأن أسماء بنت أبى بكر سألت النبى ﷺ : هل تصل أمها حين قدمت عليها مشركة ؟ قال : " نعم " أخرجه البخارى ومسلم [2]. وقيل : إن الآية فيها نزلت[3]، أى: لا ينهاكم الله عن أن تبروا الذين لم يقاتلوكم ، وهم خزاعة، حيث صالحوا النبى ﷺ على ألا يقاتلوه، ولا يعينوا عليه أحدًا فأمر ببرهم، والوفاء لهم إلى أجلهم، حكاه الفراء، ﴿ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾ " أى تعطوهم قسطًا من أموالكم على وجه الصلة ، وليس يريد به من العدل ، فإن العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل، قاله ابن العربى[4] [5].

وهكذا فالآية الكريمة تبيح لنا صلة وبر الذين لم يقاتلونا من الكفار، فالله تبارك وتعالى ما نهانا عن الإحسان إليهم ما داموا على ذلك من عدم المقاتلة، وعدم الإخراج لنا من ديارنا، وعدم معاونة أعدائنا على إخراجنا، والنهى ﴿ لا ينهاكم ﴾ يفيد الأمر بالوفاء والبر والصلة لهم .

يقول القاضى أبو بكر بن العربى المالكى: (استدل به بعض من تعقد عليه الخناصر على وجوب نفقة الابن المسلم على أبيه الكافر، وهذه وهلة [6] عظيمة ، فإن الإذن فى الشيء أو ترك النهى عنه لا يدل على وجوبه، وإنما يعطيك الإجابة خاصة، وقد بينا أن إسماعيل بن إسحاق القاضى دخل عليه ذمى فأكرمه فوجد عليه الحاضرون، فتلا هذه الآية عليهم) [7].

وفى الآية الكريمة أيضًا دلالتان أصوليتان:

أما الدلالة الأولى : فتتمثل فى مجيء قوله تعالى:﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾[8] منطوقًا مبينًا لمفهوم الأوصاف التى وصف الله بها العدو فى قوله تعالى :﴿ وَقَدْ

---

(١) الممتحنة: ٨ .

(٢) الحديث رقم (٢٦٢٠) ، ومسلم (١٠٠٣).

(٣) انظر: الطبرى ٢٢ / ٥٧٤ ، والناسخ لأبى جعفر النحاس ٦٨/٣ .

(٤) أحكام القرآن ٤ / ١٧٧٣ .

(٥) انظر: القرطبى ٢٠ / ٤٠٧ – ٤٠٩ .

(٦) وهلة : تقول : وهل فى الشيء وعنه وهلاً : غلط فيه ونسيه ا هـ اللسان مادة / و هـ ل (وهل) ٤٦٩/١٥.

(٧) أحكام القرآن ٤ / ١٧٨٦ .

(٨) الممتحنة : ٨ .

كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ ﴾[1] ، وقوله تعالى :﴿ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ ﴾[2] ، فهذه الأوصاف التى جاء منطوق قوله تعالى : **﴿لا ينهاكم﴾** مبيناً لمفهومها سيقت مساق التعليل للنهى عن اتخاذ عدو الله أولياء، فاستثنى الله هنا أقوامًا من المشركين غير مضمرين العداوة للمسلمين وإن كان دينهم شديد المنافرة مع دين الإسلام .

فإن نظرت إلى وصف العدو فى محل هذه الآية من قوله : ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ وحملته على حالة معاداة من خالفهم فى الدين مع ضميمة وصف قوله تعالى: ﴿ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ ﴾ كان مضمون قوله تعالى:﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ.. ﴾ بياناً لمعنى العداوة المجعولة علة للنهى عن الموالاة ، وكان المعنى: أن علة النهى، ومناط الحكم هو مجموع الصفات المذكورة لا كل صفة على حيالها [3].

وأما الدلالة الثانية: فتتمثل فى كون القول الكريم :﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ﴾ جاء مخصصًا لعموم النهى فى قوله تعالى: ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾، فإذا نظرت إلى أن وصف العدو هو عدوّ الدين، أى: من كان يكن العداء للدين نفسه مع وصف ﴿ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ ﴾، كان مضمون قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ ﴾ تخصيصًا لعموم النهى فى قوله: ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ ﴾، فيكون خصوص أعداء الدين الذين لم يقاتلوا المسلمين لأجل الدين، ولم يخرجوا المسلمين من ديارهم خارجين عن عموم النهى.

وأيا ما كان فهذه الجملة **﴿لا ينهاكم﴾** قد أخرجت من حكم النهى القوم الذين لم يقاتلوا فى الدين، ولم يخرجوا المسلمين من ديارهم، واتصال الآية الكريمة بما قبلها من آيات يجعل الاعتبارين

---

(١) الممتحنة : ١ .

(٢) الممتحنة : ٢ .

(٣) انظر : التحرير والتنوير ٢٨ / ١٥٢ .

سواء، فدخل فى حكم الآية أصناف، وهم حلفاء النبى ﷺ مثل: خزاعة وبنى الحارث ابن كعب ومزينة، كان هؤلاء كلهم مظاهرين النبى ﷺ ويحبون ظهوره على قريش ، ومثل: نفر من بنى هاشم، فكل هؤلاء شملتهم الآية الكريمة بحكمها [١].

وحكم الآية المخصصة لعموم النهى فى الآيات الأخرى عام متناول لسببه الخاص وغيره من أفراد خارجة عن السبب إلى يوم القيامة، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو مقرر عند أهل أصول الفقه وعلوم القرآن[٢].

وللألوسى كلام محرر حول آية ترك النهى ﴿ **لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ..**﴾ يحسن بنا أن ننقل لك بعضه تتمة للفائدة وذلك حيث يقول: قوله تعالى ﴿ **لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ** ﴾ [٣] أى لا ينهاكم سبحانه وتعالى عن البر بهؤلاء كما يقتضيه كون ﴿ **أَن تَبَرُّوهُمْ** ﴾ بدل اشتمال من الموصول، ﴿ **وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ** ﴾ أى تفضوا إليهم بالقسط أى العدل، فالفعل مُضَمَّن معنى الإفضاء؛ ولذا عدى بإلى، ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ** ﴾ أى العادلين[٤]، إلى أن قال حاكيًا أقوال العلماء فيمن نزلت فيهم الآية : وقال الحسن وأبو صالح : نزلت فى خزاعة، وبنى الحارث بن كعب، وكنانة، ومزينة، وقبائل من العرب كانوا صالحوا رسول الله ﷺ على ألا يقاتلوه ولا يعينوا عليه، وقال قرة الهمدانى وعطية العوفى: نزلت فى قوم من بنى هاشم منهم العباس.

وعن عبد الله بن الزبير أنها نزلت فى النساء والصبيان من الكفرة، وقال مجاهد: فى قوم بمكة آمنوا ولم يهاجروا، فكان المهاجرون والأنصار يتحرجون من برهم لتركهم فرض

---

(١) انظر : نفس المصدر السابق ١٥٢ .

(٢) انظر: المحصول للرازى ١٢٥/٣ ، والأحكام للآمدى ٢٣٨/٢ ، وفواتح الرحموت ٤٥٦/١ ، والتيسير ٢٦٤/١ ، وحاشية زكريا الأنصارى على المحلى ٤٢٣/٢ ، والإبهاج ١٨٨/٢ ، وشرح العضد على ابن الحاجب ١١٠/٢ ، ويراجع البرهان فى علوم القرآن للزركشى ٣٢/١ ، والإتقان للسيوطى ١٩٦/١ .

(٣) الممتحنة : ٨ .

(٤) روح المعانى ١٤ / ٢٦٨ .

الهجرة ، وقيل: فى مؤمنين من أهل مكة وغيرها أقاموا بين الكفرة وتركوا الهجرة – أى مع القدرة عليها – وقال النحاس والثعلبى: نزلت فى المستضعفين من المؤمنين الذين لم يستطيعوا الهجرة .

والأكثرون على أنها فى كفرة اتصفوا بها فى حيز الصلة ، وعلى ذلك قال الكيا : فيها دليل على جواز التصدق على أهل الذمة دون أهل الحرب، وعلى وجوب النفقة للأب الذمى دون الحربى لوجوب قتله.

وتتجلى أيضًا مسالمتنا لغيرنا فى إجارة من استجار بنا، وتحقيق أمر حمايته ورده إلى داره آمنًا، حتى إن تأشيرة الدخول التى تمنحها الدولة لأحد من غير رعاياها تعد عقد أمان فى الإسلام يجب الوفاء به، يقول الله تعالى :﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ ﴾ (١).

يا لعظمة هذا الدين، انظر كيف أمَّنت نصوصه مَن طلب الاستجارة، والأمن من أجل غرض شرعى (دينى أو دنيوى) ، فكونه طلبًا لسماع كلام الله تعالى (القرآن الكريم) لا يقصر عليه ، بل يلتحق به – كما يقول الفخر الرازى – كونه طالبًا لسماع الدلائل، وكونه طالبًا للجواب عن الشبهات، والدليل عليه أنه تعالى علل وجوب تلك الإجارة بكونه غير عالم لأنه قال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾، وكان المعنى فأجره لكونه طالبًا للعلم مسترشدًا للحق، وكل من حصلت فيه هذه العلة وجبت إجارته (٢).

ثم ذكر الفخر الرازى ما قرره الفقهاء فى حق الكافر الحربى، وكيف أنه لو طلب الجوار من أى شخص فى بلد يحاربه، ويناصبه العداء فعلى البلد أن تجيز هذا الجوار، وتحافظ على من مُنِح إيّاه ما دام قد دخل البلد لغرض شرعى، حتى لو كان هذا الأمان وقع له من صبى أو مجنون، وسواء أكان دخوله سفارة لتبليغ رسالة أم لأخذ مال كان له فى هذا البلد، مادام ماله قد أخذ أمانًا

(١) التوبة : ٦ .

(٢) انظر: مفاتيح الغيب ١٥ / ١٨٧ .

فيجب أن يصل بلده آمنًا [١].

أرأيت كيف حقق الإسلام السلام مع المخالف عن طريق إنفاذ الجوار واحترامه، وكيف اتسعت دائرته فشملت الكافر الحربى الطالب للجوار والأمان من أجل سماع كلام الله مسترشدًا، ومن أجل العمل بالتجارة، ومن أجل القيام بسفارة لإبلاغ رسالة (الدبلوماسية بمصطلح العصر الحديث)، وكيف احترم الإسلام الجوار حتى لو وقع ممن لهم شبهة أمان كالصبى والمجنون، فكيف لو كان المانح له مستوفيًا شروط أهلية التعامل! وكيف حدد الإسلام كيفية تبليغ المستجير مأمنه، وهو أن تقوم الدولة بحراسته فى ماله ونفسه إلى أن يصل إلى المكان الذى هو مأمن له، وحماية له، ألم أقل لك سابقًا: إن تأشيرة الدخول التى تمنحها الدولة لأى مواطن أجنبى عنها هى بمثابة عقد أمان فى الإسلام !

وتأمل معى فى نظم الآية لترى عجبًا فى سعى الإسلام لتحقيق أمن المجار، إذ يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [٢]، حيث أتى التعبير بحرف المهلة ﴿ ثُم﴾ – كما يقول الشيخ ابن عاشور – للدلالة على وجوب استمرار إجارته فى أرض الإسلام إلى أن يبلغ المكان الذى يأمن فيه، ولو بلغه بعد مدة طويلة فحرف ﴿ ثُم﴾ هنا للتراخى الرتبى اهتمامًا بإبلاغه مأمنه .

والمأمن: مكان الأمن ، وهو المكان الذى يجد فيه المستجير أمنه السابق ، وذلك هو دار قومه حيث لا يستطيع أحد أن يناله بسوء ، وقد أضيف المأمن إلى ضمير المشرك (المخالف) للإشارة إلى أنه مكان الأمن الخاص به فيعلم أنه مقرّه الأصلى ، بخلاف دار الجوار التى حل بها ضيفًا، فإنها مأمن عارض لا يضاف إلى المجار[٣].

---

(١) انظر: المصدر نفسه ١٥ / ١٨٨ ، ويراجع: المهذب فى فقه الشافعى ٢٦٣/٢ ، المغنى لابن قدامة ٧٧/١٣ ، وهذا القول مذهب الإمام مالك قال القرطبى حاكيًا مذهب مالك : (قال مالك : إذا وُجِدَ الحربى فى طريق بلاد المسلمين فقال : جئت أطلب الأمان – قال مالك : هذه أمور مشتبهة ، وأرى أن يُردّ إلى مأمنه) ١١٤/١٠ ، وعند ابن العربى ٨٩١/٢ هى كذلك ، وقال ابن القاسم : وكذلك الذى يوجد ، وقد نزل تاجرًا بساحلنا فيقول : ظننت ألا يعرضوا لمن جاء تاجرًا حتى يبيع . القرطبى ١٠٤/١٠، وعقد الجواهر الثمينة ٤٨١/١ ، ويراجع : التمهيد ١٨٧/٢١، وهو إحدى الروايتين عن أحمد، وهى الرواية المشهورة عنه ، وهو الصحيح، ويراجع التفسير البسيط للواحدى ١٠ / ٣٠٠ – ٣٠١ فكلام الفخر الرازى بتمامه فيه إلا أن الواحدى قال : وقال أهل العلم بدل : قال الفقهاء .

(٢) التوبة : ٦.

(٣) انظر : التحرير والتنوير ١٠ / ١١٩ – ١٢٠ باختصار وحذف منا .

وهذا حكم عام إلى يوم القيامة، فكل من منحته الدولة تأشيرة دخول لأى غرض شـــرعى – سواء أكان دينيًّا أم دنيويًّا كتجارة أو سفارة أو سياحة أو غير ذلك من أوجه العلاقات التى تقرهـــا القوانين الدولية، والتى لا تضر قطعًا بالبلد المانح لهذا الشخص– يتناوله هذا الحكم العام سواء أكان التناول بنفس الصيغة أم بالقياس .

قال العلامة جار الله الزمخشرى مجليًا معنى الآية، مقررًا ثبوت هذا الحكم وديمومة عمومه : (والمعنى وإن جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر لا عهد بينـــك وبينـــه، ولا ميثـــاق، فاستأمنك ليسمع ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن فأمنـــه :﴿ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ ويتـــدبره ، ويطلع على حقيقة الأمر :﴿ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ ﴾ بعد ذلك، داره التى يأمن فيها إن لـــم يـــسلم .. ، وهذا الحكم ثابت فى كل وقت ، وعن الحسن ﷺ : هى محكمة إلى يوم القيامة [١] [٢].

وأتى ختم الآية: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾ بمثابة التعليل لتأكيد الأمر بالوفاء لهم بالإجارة إلى أن يصلوا ديارهم ، فلذلك فصلت عن الجملة التى قبلها، أى : أمرنا بذلك بسبب أنهم قوم لا يعلمون، فالإشارة إلى مضمون جملة :﴿ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ ﴾ أى لا تؤاخذهم فى مدة استجارتهم بما سبق من أذاهم لأنهم قوم لا يعلمون ، وهذه مذمة لهم بأن مثلهم لا يقام له وزن، وأوف لهم به إلى أن يصلوا ديارهم لأنهم قوم لا يعلمون ما يحتوى عليه القرآن من الإرشاد والهدى، وفى الكلام تنويه بمعالى أخلاق المسلمين ، وغض من أخلاق أهل الشرك ، وأن سبب ذلك الغض الإشراك الذى يفسد الأخلاق، والعلم فى كلام العرب بمعنى العقل ، وأصالة الرأى ، وأن عقيدة الشرك مضادة لذلك، أى: كيف يَعْبُدُ ذو الرأى حجرًا صنعه وهو يعلم أنه لا يغنى عنه شيئًا [٣].

الإسلام وتحقيقه للسلم مع المخالف :

الإسلام كلمة مشتقة من السلام، وتحيته التى تنشق عنها الحناجر هى السلام، وإفـــشاء هـــذه التحية أمارة حب، وعلامة صدق ، وبرهان على إيمان من ينطق بها ويفشوها بين النـــاس، يقـــول

---

(١) انظر : القرطبى ١٠ / ١١٦ .

(٢) الكشاف ٢ / ١٧٥ ، وفى القرطبى بعد أن حكى الرواية قال : وهذا هو الصحيح ، والآية محكمة، ١١٦/١٠ ، وانظر: المحرر الوجيز ٩/٣ .

(٣) يراجع : التحرير والتنوير ١٠ / ١٢٠ .

النبى ﷺ : «**والله لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم**» (١)، ولما قدم ﷺ المدينة كان من وصاياه التى أسمعها الجالسين حوله : « **أيها الناس : أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا ركعات بالليل والناس نيام تدخلون جنة ربكم بسلام** » (٢).

تلك المعانى السامية التى ينضح بها قلب النبى ﷺ ، ويلهج بها لسانه الصادق لتحقيق الأمن والطمأنينة فى المجتمع الذى أسسه وبناه وتولاه ورعاه؛ إنما هى خلق قويم، وسلوك مستقيم، استوعبه النبى الموحى إليه من مشكاة الوحى الإلهى المنزل عليه، ففى القرآن الكريم آيات مباركات يرددها صباح مساء فى خلواته وجلواته، وفى صلواته فى محراب عبادته، وفى الذى يلقيه على أصحابه فيحفظونه عن ظهر قلب ، قرآناً يتلى آناء الليل وأطراف النهار، فقال تعالى فى صفة الجنة التى يدعو إليها عباده(٣): ﴿ **وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ** ﴾(٤)، وقال تعالى فى حق عباده المؤمنين الفائزين : ﴿ **لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ** ﴾(٥)، وقال تعالى فى حق عباده الموفين بعهد ربهم المتمسكين بميثاقه ، الممدوحين بما لهم من محاسن الخصال: ﴿ **جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ** ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿ **تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا** ﴾ (٧)،

---

(١) حديث : أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان ٧٤/١ حديث رقم (٥٤) .

(٢) حديث : أخرجه الترمذى فى الجامع حديث رقم (٢٤٨٥) وقال أبو عيسى الترمذى : حديث صحيح ، وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء فى قيام الليل (١٣٣٤) .

(٣) قال الطبرى : (قال قتادة والحسن : السلام هو الله وداره الجنة) ا هـ ١٥٤/١٢ ، وقال البغوى : (وسميت الجنة دار السلام؛ لأن من دخلها سلم من الآفات) ا هـ ٣٥٠/٢ ، ويراجع القرطبى ٤٨٠/١٠ .

(٤) يونس : ٢٥ .

(٥) الأنعام : ١٢٧ .

(٦) الرعد : ٢٣ – ٢٤ .

(٧) الأحزاب : ٤٤ .

وقال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾[1]، وقال تعالى فى حق أهل الجنة: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾ [2]، قال الحسن: إن السلام لا ينقطع عن أهل الجنة، وهو تحيتهم كما قال تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ [3] [4]، والله رب العالمين هو السلام، يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[5].

والمسلمون إذا فرغوا من صلواتهم ينثرون السلام يمنة ويسرًا قائلين : (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، كما علمهم رسول الله ﷺ سائر صلواتهم وقال لهم : " **صلوا كما رأيتمونى أصلى**"[6]، فكان هذا شأنه كله فى صلاته، فسار المسلمون على منواله، حيث لا تصح صلاة مسلم إلا باتباعه فى كل ما أتى به فى هيئة صلاته وعلّمه لأمته لأنّه المبلغ عن الله شرعه ، وظيفته البيان، وهو التطبيق العملى لأحكام الشرع الذى جاء به ، والقرآن الذى نزل عليه ، والأمة له فيه تبع .

بل أبان ﷺ أن من أوجب الحقوق على من يجلس فى الطريق العام أن يرد السلام على من مر به، فقال : " **إن أبيتم إلا الجلوس فى الطرقات فأعطوا الطريق حقها** "، قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال ﷺ : " **ردّ السلام** " [7]، انظر كيف بدأ به؛ لأن رد السلام من الجالسين على المار بمثابة التأمين له، واستشعار الطمأنينة والأنس والسلم ممن ألقى عليهم السلام فأجابوه إليه .

لقد بلغت كلمة السلام بمشتقاتها فى القرآن مائة وأربعين مرة [8]، وفى هذا دلالة على أن

---

(١) الزمر : ٧٣ .

(٢) الواقعة : ٢٥ – ٢٦ .

(٣) يونس : ١٠ .

(٤) القرطبى ١٠ / ٤٨٠ .

(٥) الحشر : ٢٣ ، ويراجع الكتاب الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى للقرطبى ص٢١٧.

(٦) حديث أخرجه البخارى فى صحيحه (٦٠٠٨) كتاب الأدب .

(٧) حديث أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الاستئذان باب بدء السلام ٥١/٨ ح رقم (٦٢٢٩) .

(٨) انظر : كلمة فضيلة الإمام الأكبر أ . د / أحمد الطيب شيخ الأزهر فى جامعة مونستر كلمة منشورة فى مجلة الأزهر العدد (٨) السنة (٨٩) لعام ٢٠١٦ (شعبان ١٤٣٧ هـ) ص١٦٥٤ .

السلام هو المقصد الأسمى فى الإسلام ، وهو الغاية المأمولة لتحقيق الاستقرار فى المجتمعات بين بنى البشر ، وهو أمر من أخص خصائص هذا الدين ومقاصده الكلية .

وهنا يثور فى النفس سؤال وهو كما صوره العلامة أ . د/ محمد عبد الله دراز فقال : هل جاء الإسلام ليكون ديناً محليًّا يستوعب جزيرة العرب وما حولها ؟ وهل جاء ليدعو إلى إيجاد أمة إسلامية تتعصب لدينها وجنسها ؟ ثم أجاب عليه الرحمة عن هذا التساؤل بقوله :

أولاً – لم يجئ الإسلام ليكون دين الجزيرة العربية لأنه بدأ يخاطب الناس جميعًا ، وأعلن أن رسالته إلى العالم كافة .

ثانيًا – أن الإسلام وإن كان قد جاء لتأليف أمة إسلامية ناهضة، إلا أنه قد دعا إلى أخوة عالمية تقوم على أساس من التعارف، قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ** ﴾[1]، ودعا إلى العلاقات العامة على أسس من الحب، والبر والعدل، قال تعالى: ﴿ **لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ** ﴾[2]، وقد نشد الإسلام السلام العالمى ليكون دعامة فى العلاقات الدولية، قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ** ﴾ [3]، والإسلام عنى بكرامة الفرد الذى هو لبنة فى البناء الإنسانى، وذلك ليكون عضوًا مؤسسًا فى العلاقات العامة، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** ﴾ [4].

إن هدف الإسلام من إيجاد أمة إسلامية إنما لتكون أمة وسطًا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وذلك لتؤدى مهمة نبيلة إنسانية من أجل السلام العالمى والأمن الدولى، ولا ريب فى أن أمة – هذا هدفها وهذه رسالتها – لابد أن تدعم بناء العلاقات العالمية، وتعمل على صيانتها ضد عواصف الشر،

---

(١) الحجرات : ١٣ .

(٢) الممتحنة : ٨ .

(٣) البقرة : ٢٠٨ .

(٤) الإسراء : ٧٠ .

وملاحم الفتن، إن فى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [1] معنى إنسانيًا وافيًا لا يدع مجالاً لذرة من الريب فى أن الإسلام إنما جاء ليمنح البشرية : الأخوة، والحب، والسلام [2].

ومن جوانب تحقيق المسالمة لغيرنا من المخالفين لنا (الآخر) أنه يجب علينا أن ندفع سيئة من يسيء لنا بالحسنة، ونقابل أذاه بالصبر والاحتمال، وهذا من محاسن الأعمال وأفضلها، وأقدرها على قلب عداوة العدو ودًّا وحبًّا، وتحوّل خصومته مسالمة وسلمًا، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴾[3]، ويقول سبحانه ترغيبًا لرسوله ﷺ فى الصبر على أذى المشركين، ومقابلة إساءتهم بالإحسان: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾ [4].

وقد أخرج ابن أبى حاتم وأبو نعيم فى الحلية عن أنس أنه قال : يقول الرجل لأخيه ما ليس فيه فيقول: إن كنت كاذبًا فأنا أسأل الله تعالى أن يغفر لك ، وإن كنت صادقًا فأنا اسأل الله تعالى أن يغفر لى .

وقيل : التى هى أحسن شهادة أن لا إله إلا الله، والسيئة الشرك، وقال عطاء والضحاك : التى هى أحسن السلام، والسيئة الفحش، وقيل : الأول الموعظة، والثانى المُنْكر، واختار بعضهم العموم ، وأن ما ذكر من قبيل التمثيل .

ففعلك أيها الرسول حسنة، وفعلهم سيئة ، فإذا أتيت بهذه الحسنة، استحققت التعظيم فى الدنيا، والمثوبة فى الآخرة، وهم بضد ذلك، فلا ينبغى أن يكون إقدامهم على السيئة مانعًا من الاشتغال بالحسنة، يقول تعالى:﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ أى: ادفع سفاهتهم وجهالتهم بالطريق التى هى أحسن الطرق، فقابل إساءتهم بالإحسان إليهم، والذنب بالعفو، والغضب بالصبر والإغضاء عن الهفوات واحتمال المكاره، فإنك إن صبرت على سوء أخلاقهم مرة بعد أخرى، ولم تقابل سفههم

---

(١) الأنبياء : ١٠٧ .

(٢) انظر: نظرات فى الإسلام ص١٠٤ – ١٠٥ .

(٣) المؤمنون : ٩٦ – ٩٨ .

(٤) فصلت : ٣٤ ، ٣٥ .

بالغضب، ولا أذاهم بمثله؛ استحيوا من ذميم أخلاقهم، وتركوا قبيح أفعالهم، ثم بين نتائج الدفع بالحسنة فقال تعالى: ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ أى : إنك إن فعلت ذلك انقلبوا من العداوة إلى المحبة، ومن البغض إلى المودة.

قال عمر: وما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه[1]، وقال ابن عباس : أمره تعالى فى هذه الآية بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل ، والعفو عن الإساءة ، فإذا فعل الناس ذلك عصمهم الله من الشيطان ، وخضع لهم عدوهم [2].

وروى أن رجلاً شتم قَنْبرًا مولى على بن أبى طالب ، فناداه على يا قنبر : دع شاتمك ، والْهُ عنه تُرْض الرحمن ، وتُسْخط الشيطان .

وقالوا : ما عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه، ولله در القائل :

وللْكفُّ عن شتم اللئيم تكرُّمًا أضرُّ له مِنْ شتمــه حيــن يُشتمُ[3]

وقال آخر :

وما شىء أحبُّ إلى سفيهٍ إذا سبَّ الكــريم من الجـــــواب

متاركةُ السفيه بلا جوابٍ أشدَّ على السفيه من السِّبـــاب [4]

والحاصل: أنه من المقرر فى قواعد أهل أصول الفقه: أن خطاب الله لنبينا سيدنا محمد ﷺ خطاب لأمته ما لم تقم قرينة على إرادة اختصاصه به ﷺ [5]، ومن ثم فالآيات تدعو الأمة المخاطبة

---

(١) انظر : تفسير المراغى ١٣١/٢٤ .

(٢) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٧١/٧ وهذا الأثر ضعيف؛ لأن فيه على بن أبى طلحة لم يسمع من ابن عباس بل روايته عنه مرسلة .

(٣) قائله : المؤمِل بن أُميل وهو فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى ٨٦/٣ .

(٤) أوردهما ابن عبد البر فى بهجة المجالس ٦٠٨/٢ ، وعنده البيت الثانى قبل الأول ، وعجز البيت الأول عنده : إذا وقع الكريم من السباب ، وعجز البيت الثانى : أشدّ على السفيه من العذاب .

(٥) انظر : البحر المحيط للزركشى ١٨٨/٣ ، والتحبير ٤٦٥/٥ ، وشرح العضد على ابــن الحاجــب ١٢١/٣ ، حاشية الأنصارى على المحلى ٣٢٠/٢ ، وحاصل الأمر فى المسألة : أن الخطاب للنبى ﷺ ثلاثة أنواع :

الأول : يكون مختصًا به بلا نزاع كقوله تعالى : **﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾** (المائدة:٦٧) .

الثانى : دخول أمته معه بلا نزاع كقوله تعالى : **﴿ يا أيها النبى إذا طلقتم النساء ﴾** (الطلاق:١) .

الثالث : ما يمكن فيه إرادة الأمة معه ، ولم تقم قرينة على إرادتهم معه . وهذا محل النزاع .

يراجع : حاشية شيخ الإسلام زكريا الأنصارى ٣٢٠/٢ تحقيق / عبد الحفيظ بن طاهر هلال الجزائرى .

بخطاب نبيها ورسولها أن تلتزم بهذا الأدب الرفيع الداعى إلى مكارم الأخلاق وعظيم الخصال، من الموادعة والمسامحة والإحسان، والإغضاء عن أى إساءة ما لم تنل نقصًا فى دين أو طعنًا فى مروءة، ففى تحلى المسلم بهذا السلوك الراقى مع مخالفيه ما يدعو المخالف إلى مراجعة نفسه والتأمل فى هذا السمو والرقى الذى يراه فى إحسان المسلم نحوه، ومقابلته السيئة بالإحسان، وعندها تنقلب العداوة صداقة، والبغض محبة، وعندها تنقطع الضغائن، وتزول الإحن، فيعم السلام، يقول تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ (١).

وتأمل النظم الكريم ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ ترى ما فى ذلك الأمر السابق عليه ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ من الصلاح ترويضًا على التخلق بذلك الخلق الكريم، وهو أن تكون النفس مصدرًا للإحسان، ولما كانت الآثار الصالحة تدل على صلاح مثيرها، وأمر الله رسوله بالدفع بالتى هى أحسن، أردفه بذكر بعض محاسنه، وهو أن يصير العدو كالصديق، وحسن ذلك ظاهر مقبول ، فلا جرم أن يدل حسنه على حسن سببه .

وبذكر المثل والنتائج عقب الإرشاد شأن ظاهر فى تقرير الحقائق، وخاصة التى قد لا تقبلها النفوس لأنها شاقة عليها، والعداوة مكروهة، والصداقة والولاية مرغوبة، فلما كان الإحسان لمن أساء يدنيه من الصداقة أو يكسبه إياها كان ذلك من شواهد مصلحة الأمر بالدفع بالتى هى أحسن، وتأمل التعبير بالاسم الموصول فى قوله: ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ ﴾ دون التعبير بذلك العدو معرفًا بلام الجنس حيث لم يقل: (فإذا العدو) ترى التركيب أتى من أعلى طَرَفِ البلاغة، لأنه يجمع أحوال العداوات فيعلم أن الإحسان ناجح فى اقتلاع عداوة المُحْسَن إليه للمُحْسِن على تفاوت مراتب العداوة قوة وضعفًا، وتمكنًا وبعدًا، ويعلم أنه ينبغى أن يكون الإحسان للعدو قويً بقدر تمكن عداوته ليكون أنجع فى اقتلاعها، ومن الأقوال المشهورة : النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها (٢).

---

(١) فصلت : ٣٤ .

(٢) انظر : التحرير والتنوير ٢٩٢/٢٤ – ٢٩٣ باختصار وحذف .

دور القادة الدينيين فى تحقيق السلام مع الآخر :

بهذا الطريق السديد والمنطق الرشيد الذى رسمته نصوص الشريعة الغراء انطلق الدعاة الأول للإسلام تأسيًا بسيد الدعاة سيدنا محمد ﷺ الذى وضع أسس السلام، وأرسى قواعده مع الآخر المخالف له فى الدين منذ أنْ وطئت قدماه أرض المدينة، حيث وجد فيها مع المسلمين أناسًا آخرين، وطوائف أهل الكتاب كيهود (بنى قريظة ، وبنى النضير ، وبنى قينقاع ، ويهود خيبر)؛ فأتت وثيقة المدينة التى تمثل أعظم دستور عرفته الإنسانية تقرر قيم المواطنة ، وتحدد الحقوق والواجبات لكل مواطن يعيش على أرض المدينة بغض النظر عن عقيدته أو عرقه أو لونه ، بل تضمنت موادها ما يكفل للمخالف حرية الاعتقاد ، والمحافظة على نفسه ، وماله ، وعرضه ، وبهذا يتحقق السلام الاجتماعى الذى ينشده كل إنسان يعيش فى أى وطن من الأوطان، استمع إليه وهو يقرر بنودها ، ويضبط موادها :« أن المسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم، أمة واحدة »، وإن المؤمنين المتقين على مَنْ بغى منهم أو ابتغى دسيعة (محض) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعًا ، ولو كان ولد أحدهم، وأنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفسًا ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وأنه لا يحل لمؤمن أقرّ بما فى الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحْدِثًا (مجرمًا) ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن يهود بنى عوف أمة من المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، وأن ليهود بنى النجار، والحارث ، وساعدة ، وبنى جشم ، وبنى الأوس ... إلخ مثل ما ليهود بنى عوف، وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح، والنصيحة، والبر دون الإثم، وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وأن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب، وأن من خرج أمن، ومن قعد بالمدينة أمن إلا من ظلم وأثم، وأن الله جارٌ لمن برَّ واتقىً » [(١)].

---

(١) انظر: فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى رحمه الله ص١٦٦ – ١٧٧ .

قال محققه روى هذه الوثيقة ابن إسحاق ١٦/١– ١٨ بدون إسناد ، وابن هشام ٣١/٣ ، وابن كثير فى البداية والنهاية ٢٢٤/٣ ، وابن سيد الناس فى عيون الأثر ٢٣٨/١ ، وأخرج بنحوه البيهقى فى الكبرى ١٠٦/٨ من طريق الحاكم النيسابورى ، وأخرجه أبو عبيد فى الأموال ص٢١٥ مرسلاً بسنده عن ابن شهاب . ولعلماء الجرح والتعديل كلام طويل فى رجال إسناده لا نطيل فى ذكره فارجع إليه فى مظانه .

وأسوق لك علاوة على ذلك مثلاً على تحقيق السلام مع المخالف تم بيد قائد السلام ورسول السلام وداعى السلام الأول سيدنا محمد ﷺ ، وكيف تأسى به الدعاة الأول بعده من أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين :

جاء صاحب أيلة ومعه أهل جرباء وأذرح وميناء ، فصالح رسول الله ﷺ على الجزية ولم يُسلم ، وكتب له الرسول ﷺ الكتاب التالى : " بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمنة من الله ومحمد النبى رسول الله ليوحنا وأهل أيلة ، سفنهم ، وسيارتهم فى البر والبحر ، لهم ذمة الله ومحمد النبى ، ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر..، ثم قال ، وإنه لا يحل أن يُمنعوا ماءً يردونه من بر أو بحر " [١].

تأمل فى هذا العهد الذى أبرمه سيدنا رسول الله ﷺ مع يوحنا صاحب أيلة ومن معه لترى كيف حقق لهم الأمن، وأظهر لهم التسامح إلى أقصى غاية ينشدها المخالف مع من أبرم معه عهدًا، وأعطاه ميثاقًا ! نعم إنه السلام الحقيقى الذى تنشده البشرية الحائرة ، فى عصر علت فيه نبرة الأنانية ، وسيطرت فيه عوامل الجشع والطمع والهيمنة .

موقف آخر من مواقف السلام مع المخالف، والتى ترسم الصورة الحقيقية لدين السلام ورسول السلام : لقد أتى وفد نجران إلى رسول الله ﷺ، وكانوا ستين راكبًا دخلوا المسجد، وعليهم ثياب الحبرة وأردية الحرير، مختمين بالذهب ، ومعهم بسط فيها تماثيل ومُسُوح[٢]، جاءوا بها هدية للنبى ﷺ ، فلم يقبل البسط وقبل المسوح، ولما جاء وقت صلاتهم صلوا فى المسجد مستقبلين بيت المقدس، ولما أتموا صلاتهم دعاهم عليه الصلاة والسلام للإسلام فأبوا، ... وليظهر الله لهم أنهم فى شك من أمرهم أنزل قوله تعالى :﴿ **فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ** ﴾[٣] فدعاهم إلى ذلك فامتنعوا ورضوا بإعطاء الجزية وهى ألف حُلّة فى صفر،

---

(١) يراجع : الأثر فى عطاء الرحمن ٩٦/٢ ، والأثر قد أخرجه الطبرانى فى الأوسط ١٧٦/٤ ، والبيهقى فى دلائل النبوة ٣٨٢/٥ .

(٢) المسوح هى : جمع مِسْح – بكسر الميم وإسكان السين وهو لباس الرهبان ا هـ . يراجع : المغَّرب فى تركيب المعرَّب لبرهان الدين الخوارزمى (ت : ٦١٠ هـ) ٤٤١/١ . وجاء فى معجم مجمع اللغة العربية : هو كساء غليظ من شعرٍ تقول : لبس مُسوح الرهبان إذا تظاهر بالبراءة والطيبة ٢٠٩٥/٣ .

(٣) آل عمران : ٦١ .

وألف حُلّة فى رجب، مع كل حلة أوقية من الذهب، ثم قالوا: أرسل معنا أمينًا، فأرسل معهم أبا عبيدة عامر ابن الجراح ، وكان لذلك يسمى أمين هذه الأمة [١].

ولقد جرى القادة الدينيون الأول من صحابة رسول الله ﷺ على سنن نبيهم فى تحقيق السلام مع المخالف، وإن أردت دليلاً على ذلك فاقرأ هذه المواقف المشرفة للخلفاء الراشدين وكيف كان حالهم مع الآخر :

(أ) كان عمر بن الخطاب ﷺ يبث العيون على ولاته ليعرف مقدار إقامتهم للعدل فى رعاياهم، وأول أمر يهتم بالسؤال عنه هو معاملتهم للمخالف (أهل الذمة)، فإذا جاءته الوفود من الإقليم يكون أول ما يسأل عنه كيف معاملتهم لأهل الذمة ؟ [٢].

(ب) كان فيما تكلم به عمر بن الخطاب ﷺ عند وفاته: " أوصى الخليفة من بعدى بذمة رسول الله ﷺ أن يوفى لهم بعقدهم وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفهم فوق طاقتهم"[٣].

(جـ) وقال أبو يوسف: يروى أن عمر بن الخطاب ﷺ مر بباب قوم وعليه سائل يسأل، وهو شيخ ضرير البصر، فقال له عمر: من أى أهل الكتاب أنت ؟ قال: يهودى، فقال : ما الذى ألجأك إلى ما أرى ؟ فقال الرجل : أسأل الجزية ، والحاجة والسن ، فأخذ عمر بيده، وذهب إلى منزله، ورضخ له بشيء من المال ، ثم أرسل إلى خازن بيت المال، وطلب إليه أن يجرى عليه رزقًا مستمرًا من بيت المال، وقال له: " انظر إلى هذا وضربائه فوالله ما أنصفنا أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ [٤]، والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب؛ ووضع عنه الجزية وعن ضربائه) [٥].

(د) وما فعله عمرو بن العاص ﷺ والى مصر من قبل عمر بن الخطاب ﷺ مع أهلها النصارى، حيث منحهم عهدًا يُعد دستورًا فى تحقيق السلام معهم، وقد جاء فيه " بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم، وملتهم، وأموالهم،

---

(١) انظر : الأثر فى عطاء الرحمن ٩٧/٢ – ٩٨ وقد أخرجه الواقدى فى المغازى ١٠٣١/٣ ، وابن هشام فى سيرته ٢٧/٥ ، وابن سعد فى الطبقات ٥٢/١ ، وابن المنذر فى التفسير ص١٩٩ .

(٢) انظر : العلاقات الدولية فى الإسلام للشيخ محمد أبى زهرة ص٥١ .

(٣) الخراج لأبى يوسف ص١٤٦ .

(٤) التوبة : ٦٠ .

(٥) الخراج ص١٥١ نقلاً عن العلاقات الدولية ص٥٢ – ٥٣ ، ويراجع الأموال للقاسم بن سلام ص١١٩ وفيه : (ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه) .

وكنائسهم، وصلبانهم، وبرهم، وبحرهم، لا ينقص عليهم شيء من ذلك، ولا ينتقص، ثم قال : وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف، وجاء فى آخر الكتاب قوله : (وعلى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين، وذمم المؤمنين) وقد شهد على هذا العهد الزبير بن العوام ، وعبد الله ومحمد ولداه، وكتبه كاتب اسمه وردان [١].

(هـ) وما روى من أن أحد أقباط مصر شكا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ابن والى مصر عمرو بن العاص ﷺ الذى لطم ابنه عندما غلبه ابن القبطى فى السباق ، وقال : أنا ابن الأكرمين، فأسرع عمر ﷺ بإحضار والى مصر وابنه إلى مكة فى موسم الحج ، وأعطى عمر الدّرّة لابن القبطى، وأمره أن يقتص من ابن الأكرمين ، ثم قال لعمرو كلمته المأثورة : " متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارًا [٢].

(و) وفى خلافة أبى بكر الصديق ﷺ كتب خالد بن الوليد ﷺ فى عقد الذمة للمسيحيين من أهل الحيرة بالعراق : " أن من ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيًّا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته [٣]، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله " [٤].

أرأيتم مثل هذه الصور المشرفة التى تسمو فيها أخلاقيات الإسلام مع الآخر، فتشملهم رعايته، وتحوطهم عنايته، وتحميهم رحمته وإحسانه بهم ، حتى إنهم ليصبحون عيالاً على بيت مال المسلمين ! نعم بهذا وحده يتحقق السلام ، ويحل الوئام ، ويصفو العيش ، وتهنأ الحياة ، وتعلو العزة والكرامة للمخالف ، وتختفى الذلة عنه والمهانة .

وهكذا الشأن بالنسبة لتحقيق السلام مع الآخر حيث أصبح شغل الدعاة الشاغل ، وهمهم الكبير فى كل عصر ، ومصر ، بل كان القادة الدينيون حريصين كل الحرص على أن يوصوا حكام المسلمين بالعدل مع أهل الذمة ، ومن ذلك ما جاء فى كتاب " الخراج " لأبى يوسف موجهًا القول إلى هارون الرشيد وفيه ما نصه: " وقد ينبغى يا أمير المؤمنين – أبَـرَّك الله – أن تتقدم

---

(١) انظر : النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة ج ١ ص٢٤ ط . دار الكتب نقلاً عن كتاب: عطاء الرحمن ١٢٥/٢ .

(٢) انظر : حُسْن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة للسيوطى : ٥٨٧/١ .

(٣) أى : أعفيته من دفع الجزية .

(٤) انظر : الخراج لأبى يوسف ص١٤٤ نقلاً عن كتاب : الثقافة الإسلامية ص٢٨ المقرر على الشهادة الإعدادية الأزهرية . إعداد لجنة تطوير المناهج بالأزهر الشريف ٢٠١٧ م .

بالرفق بأهل ذمة نبينا ، وابن عمك محمد ﷺ ، والتفقد لأحوالهم ، حتى لا يظلموا ، ولا يؤذوا ، ولا يكلفوا فوق طاقتهم ، ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليها ، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : " **من ظلم معاهدًا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة** " (١) (٢) .

وهكذا فإنا نرى علماء الإسلام فى دعوتهم وتوجيهاتهم وبحوثهم ومؤلفاتهم يعنون عناية فائقة بتحقيق السلام مع الآخر ، بل كم دعا القادة الدينيون فى العصر الحديث إلى إرساء قواعد السلام العالمى المنشود، وكم عقدوا لذلك من مؤتمرات عالمية شارك فيها الباحثون والمتخصصون من أهل الأديان السماوية ، وأهل الملل والنحل الإنسانية والمذاهب الأخلاقية، ولا شك أن هذا المؤتمر الذى تعقده وزارة الأوقاف المصرية يعد واحدًا من أهم الجهود المخلصة فى هذا الشأن.

وللأزهر الشريف القدح المعلى فى هذا المجال تحقيقًا لآمال الشعوب وترسيخًا لقيم السلام العالمى بين أفرادها ، وإرساء لدعائم التعايش السلمى .

ولعل المتابع لجهود فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور / أحمد الطيب لا يخفى عليه ما يقوم به فضيلته من ترسيخ للسلام مع الآخر ، ونشر ثقافة التعايش السلمى بين بنى البشر، ولا أدل على ذلك من تلك الكلمة التى وجهها فضيلته إلى رجال الدين بالغرب فى جامعة مونستر، والتى اتسمت بالصراحة والمصارحة الشديدتين حيث قال : " أيها السادة العلماء : والآن كيف ننزل بمفهوم السلام فى الأديان إلى هذا الواقع المعقد ؟ والإجابة التى أختم بها كلمتى هى : لابد أولاً من صنع السلام بين رجال الأديان أنفسهم، وليس بين رجال الدين الواحد، بل بينهم وبين المفكرين وأصحاب القرارات المصيرية، والتى كثيرًا ما تعول فى قرارها على المصالح والأغراض بعيدًا عن القيم والمبادئ الإنسانية، وهذه معضلة تحتاج – أولاً – إلى حوار باحث عن المشتركات بين الأديان، وما أكثرها وأهمها، فما لم يتصالح رجال الأديان فيما بينهم، فإنه لا أمل فى قدرتهم على الدعوة للسلام، والتبشير به بين الناس، إذ فاقد الشىء لا يعطيه "(٣).

---

(١) حديث أخرجه أبو داود فى سننه (٣٠٥٢) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (١٨٧٣١) عن عدد من أبناء الصحابة وقال السخاوى فى المقاصد الحسنة ص٦١٦ : " وسنده لا بأس به ، ولا يضره جهالة من لم يُسمَّ من أبناء الصحابة فإنهم عدد تنجبر به جهالتهم ، ولذا سكت عليه أبو داود .

(٢) الخراج ص ١٤٦ . نقلاً عن العلاقات الدولية فى الإسلام ص٥١ – ٥٢ .

(٣) تراجع : كلمة الإمام بمجلة الأزهر، عدد شهر شعبان ١٤٣٧ هـ – مايو ٢٠١٦ م الجزء (٨) السنة (٨٩) ص١٦٥٤ .

أرأيتم صراحة أجلى من هذه الصراحة ؟ ومصارحة أشدّ من هذه المصارحة ؟ وهكذا شـــأنه فى كل زياراته لدول العالم شرقًا وغربًا، يحمل فى كلماته التى يوجهها للعالم صورة الإسلام الحقة عن السلام الحقيقى الذى يؤمن به ويسعى له حتى أصبح قضيته الوحيدة التى يتمنى أن تتحقق بين الشعوب، إذ يؤمن فضيلته يقيناً جازمًا أن بتحققها تختفى الصراعات وتخمد نيران الحروب، وهـــذا ما صدع به فى كثير من مؤتمرات الحوار بين الأديان فى عواصم أوربا وأمريكا وآسيا على مدى خمسة عشر عامًا مضت، فحرى بالقادة الدينيين فى العالم أن يحذو حذو الإمام الطيب، وأن يعملوا جاهدين على ترسيخ ثقافة السلام بين الشعوب ، وتدعيم كل ما يحقق التعايش السلمى بينها.

وما دامت النوايا صادقة، والسرائر مخلصة فإن أمر السلام بين بنى البشر والتعايش السلمى على الأرض سيكون سهل المنال، وتعيش فى ظله أجيال وأجيال بعيدة عن صـــراعات الحـــروب، وشلالات الدماء، وعند ذلك يعم الأمن، والعدل، والحق، والخير، ويصبح بنو البشر فـــى مختلـــف أقطارهم ودولهم، وتعدد لغاتهم وأجناسهم ، وتنوع عقائدهم ومذاهبهم عباد الله إخوانًا، تسرى بينهم رحم الإنسانية الأولى، متعاونين على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان .

وفق الله مؤتمرنا هذا، وأيد القائمين عليه، والمشاركين فيه من مختلف دول العالم، ويحـــدونا الأمل أن نخرج برؤية مشتركة ننطلق من خلالها فى تحقيق ما تصبو إليه النفوس المتشوقة للسلام فى أرجاء المعمورة .